نمو القدرة على إصدار الأصوات

مـن اليـوم الأول للولادة الطفل يصـدر أصواتًا، ولكـن لا يمكننا أن نعتبر هـذه الأصـوات التي يصدرهـا الطفل في عامـه الأول كلامًا بمعنـاه الحقيقي، ولكـن إصدار الأصوات في سـن الرضاعة خطوة مهمة وضرورية لاكتسـاب اللغـة. يعد الكلام صفة من الصفات المهمة للغاية التي تميز الإنسـان عن باقي الكائنـات الأخـرى. وهناك ارتباط وثيق بين الـكلام والتفكير، كما في التفاهم بين الأشخاص.

عندمـا يلاحظ المرء بدقـة الأصوات التي يصدرها الطفل في السـنة الأولى يتعجـب ممـا يقوم به الطفـل ومن الطريقـة التي يصدر بها الأصـوات، من هنا يكتشف المعنى الذي يختبئ وراءه كل هذه الأصوات غير المفهومة، أي يتعرف ما يريد أن يشير إليه الرضيع.

لا يزال الرضيع ينام في الشـهرين الأولين من عمره وقتًا طويلًا. ومن أهم الأصوات التي نتعرض لها هي الصراخ الشديد، فالطفل يلفت انتباه المحيطين به من خلال هذا الصراخ إلى أنه يحتاج إلى شيء ما، من الممكن أن يكون جائعًا أو مبلولًا أو أنه يشعر بالبرد أو يشعر بألم، نادرًا ما يعبر عن صحته وعافيته من خلال إصدار أصوات من الحلق وأصوات الحروف المتحركة أثناء التنفس.

في الشـهرين الثالـث والرابع يزيد إصدار الرضيع للأصوات بشـكل دائم، تماشـيًا مع طـول فترات اسـتيقاظه. يثـير دهشـة الوالدين بصفة خاصـة تتابع إصـدار مقطع «غيه» كثيرًا، فينشـأ الصوت وكأنه يتغرغـر، كما أن هذا الصوت يعبر أيضًا عن سـعادة الطفـل وارتياحـه. في هذا الوقت يصـدر بعض المقاطع

الأولى المعبرة، لكنها ما زالت غير واضحة وغير مفهومة وهي مجرد محاولة للتقليد.

ومما يضفي السعادة على الوالدين أن الطفل في نهاية الشهر الرابع يستطيع أن «يقهقه» بالفعل، عندما يقوم أحد بمداعبته أو عندما يشعر بالسعادة بشكل خاص. فإن الطفل أصبح لا يستطيع فقط أن يعبر عن عدم ارتياحه أو سعادته من خلال الأصوات، بل أيضًا يمكنه التعبير عن مدى سعادته وارتياحه. وأهم ما يميز النمو اللغوي في هذه المرحلة من العمر أن الوالدين يتحدثان معه كثيرًا، ومن خلال الاستجابة لهذا التواصل ترتفع الحالة المعنوية للطفل؛ فتظهر عليه السعادة.

يبدأ الطفل خلال الشهرين الخامس والسابع في تخزين كل الأحاديث والحكايات التي تمت معه، ويبدأ في إصدار الحروف المتحركة التي يتمكن من نطقها متتابعة. من خلال هذه المجموعة من الأصوات يمكننا تمييز بعض المقاطع الواضحة، بالإضافة إلى أن الرضيع يتمكن في هذا الوقت من تغيير نبرات صوته ما بين رفيع أو خشن، ومرتفع أو منخفض؛ وحيث إن الطفل الآن يكون في مرحلة الاستغراب في نمو سلوكه الاجتماعي، فهو يقلق أو يخاف من الأشخاص غير المألوفين له. كما أنه يرهب الأماكن غير المألوفة له، لذلك فإنه في الغالب لا يحكي كثيرًا وهو خارج المنزل، إلا عندما تحاكيه الأم؛ ولكنه لا يحاكي بسرور إلا عندما يكون بمفرده.

في الفترة بين الشهرين التاسع و العاشر يبدأ الطفل في تكرار المقاطع التي كان يصدرها في الشهور السابقة مرتين. تكون هذه المقاطع واضحة كما أنها تكون الكلمات الأولى مثلاً: «با ـ با، وما ـ ما، وا ـ وا» وهذه تكون هي المحاولة الأولى لتكوين الكلمات.

أما الفترة بين الشهرين الحادي عشر والثاني عشر تعد مرحلة حاسمة في نمو القدرة على إصدار الأصوات، قبل هذه المرحلة، فإن الطفل يعبر بصفة

خاصـة من خـلال إصدار الأصوات عن احتياجاته، كأنه يسـتطيع أن يذكر ما يريـده من خلال تكرار إصدار الأصوات. أما الآن فإنه، يتمكن من الربط بين المقاطع لتكوين معنى محدد. تكرر الأم مثلاً المقطع المزدوج «با ـ با » كلما حضر الأب، فيتعلـم الطفـل تدريجيًّـا الربط بين كلمـة «با ـ با» وبين والـده، وعندما يـرى والـده ينطق كلمة (بـا ـ با) تلقائيًّـا بالطبع إن الكلـمات الأولى للطفل لها معان خاصة، فكلمة «هاو هاو» لا تعني على سـبيل المثال الكلب فقط بالنسـبة للطفـل بـل تعبر عن كل ذوات الأربع، وكلمة «بـررر» تعبر عن كل ما يتحرك بمحـرك آلي، وبهذا فقد تمت الخطـوة الأولى ليتمكن الطفل من الكلام، ويضع الأساس للمرحلة الثانية في النمو أثناء السنة الثانية من عمره، والتي تهدف إلى أن يتمكن من التعبير بكلمتين عن جملة.